التحضر بمدينة سطيف: دراسة سوسيو تاريخية

بقلم: د. فروق يعلى
جامعة محمد لمين دباغين سطيف2

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على سيرورة التحضر في إحدى المدن الجزائرية ألا وهي مدينة سطيف، من خلال مختلف المحطات التاريخية التي مرت بها شمال إفريقيا ابتداءا من الحضارة النوميديا إلى يومنا هذا، ونظرا للموقع الجغرافي الهام الذي تتمتع به هذه المدينة جعلها محطة جذب للسكان من مختلف المناطق، خاصة خلال العشرية الأخيرة من القرن الماضي وما صاحبها من توتر الوضعية الأمنية في المناطق الريفية المنعزلة، والعشرية الأولى من القرن الحالي وما صاحبها من امتيازات استفادة منها المدينة في إطار مشروع دعم الهضاب العليا، فكل هذه العوامل جعلت من التحضر بمدينة سطيف ينموا بوتيرة متسارعة جدا أدى إلى استنفاذ المدينة لاحتياطها العقاري مما جعلها تتوسع على حساب الأراضي الزراعية العالية المردود.

تمهيد:

عرفت مدينة سطيف ابتداءا من العشرية الأخيرة من القرن الماضي نموا حضريا متسارعا ناتجا أساسا عن الموجات المتتالية من النزوح الريفي نتيجة الأزمة الأمنية داخل حدود الولاية وأولئك النازحين من خارج حدود الولاية قصد الاستقرار بها لموقعها الاستراتيجي كونها مركز عبور بين عدة مدن من الوطن، والوزن الإقليمي الهام الذي تتمتع به، الناتج عن تمركز تجهيزات ومرافق ذات أهمية يتعدى مجال نفوذها حدود الولاية وكذا المكانة الاقتصادية التي تتميز بها هذه المدينة من منطقة صناعية.

فكل هذا أدّى إلى توسع حجم المدينة واستنفاذ احتياطها العقاري الذي أدى إلى البحث عن إمكانيات أخرى للتوسع المجالي نتج عنه ظهور تجمعات سكانية ثانوية بلغت سنة 1998م سبعة تجمعات غير مخططة نمت وتطورت على حساب المدينة.

ونظرا لارتباط التحضر بمدينة سطيف بالنزوح الريفي للسكان مقارنة بنموه الطبيعي فإنه من المتوقع استمرار زيادة عدد سكان المدينة خاصة وأنها تتوفر على عدة مرافق وخدمات استفادت منها من المخطط الوطني لتدعيم الهضاب العليا، وهو ما يطرح عدة تساؤلات حول علاقة هذه الزيادة السريعة بموقع المدينة؟؛ ومراحل وخصائص التحضر بهذه المدينة؟؛ والإمكانيات المجالية التي تتوفر عليها؟.

أولا: مميزات الموقع الجغرافي لمدينة سطيف:

لتحديد مميزات الموقع الجغرافي لأي مدينة لا بد من التعرف على موقعها الجغرافي من حيث المركزية والتقاطع والإتصال بينها وبين باقي المدن، وموضعها وكذا خصائصها الجيولوجيا لما لهما من أهمية في تحديد مدى قدرة المدينة على التوسع واستعاب النمو العمراني المتزايد.

1- الموقع: هو "مجموعة من المتغيرات التي تحدد الوضع العام للمدينة مقارنة مع المجموعات الجغرافية والفيزيائية والاقتصادية الكبرى، أي هو مفهوم جهوي"[1]، وانطلاقا من المعطيات

[1] -Pelletier (J), Delfante (CH) : **Ville et Urbanisme dans le monde,** Masson, Paris, 1989, p, 13-14.

المتوفرة حول مدينة سطيف يتبين لنا أنّ هذه الأخيرة تحتل موقعا ذو أهمية إقليمية ووطنية يتضح من خلال ما يلي:

أ- المركزية: وهي"أوّل عنصر من عناصر الموقع كما تبينه نظرية الأماكن المركزية للعالم W.Cristaler"[1]، حيث تحتل مدينة سطيف موقعا جغرافيا هاما يتوسط إقليمين مختلفين، إقليم الشمال الشرقي الجزائري وإقليم الوسط، إذ تقع في منطقة الهضاب العليا الشرقية – حيث تعرف بعاصمة الهضاب العليا - على ارتفاع يتراوح ما بين 800م و1300م، وتعد عاصمة الولاية ومركز القرار الإداري، تحدها شمالا بلدية أوريسيا،و شرقا بلدية أولاد صابر، وجنوبا بلدية قجال، وغربا بلديتي مزلوق وعين أرنات أمّا فلكيا فتقع بين خطي طول 5° و6° شرق خط غرينتش وبين خطي عرض 35° و36.5° شمال خط الاستواء، وتتربع البلدية على مساحة تقدر بـ 127.30كم^2 (أنظر الخريطة رقم (01) في الملاحق).

ب- التقاطع والالتقاء: أي تقاطع وتلاقي محاور الاتصال سواء كانت وديانا، طرقا، أو سككا حديدية"[2].

ومدينة سطيف تقع على محاور اتصال هامة حيث تعتبر منطقة عبور بين عدّة مدن جزائرية بواسطة شبكة الطرق التي تمر بها والمتمثلة في كل من الطريق الوطني رقم 05 الرابط بين العاصمة غربا ومدينة قسنطينة شرقا ويعد من أهم محاور الاتصال الذي يمر على المدينة باعتباره يربط بين إقليم الشمال الشرقي وإقليم الوسط، بالإضافة إلى الطريق الوطني رقم 09 الرابط بينها وبين مدينة بجاية من الناحية الشمالية، والطريق الوطني رقم 28 الرابط بينها وبين مدينة بسكرة نحو الجنوب الغربي للمدينة والطريق رقم 75 الرابط بينها وبين مدينة باتنة من الناحية الجنوبية الشرقية.

وترتبط الولاية غربا بمدينة برج بوعريريج ، وشرقا بمدينة قسنطينة بشبكة السكة الحديدية، كما تمر على المنطقة شبكة من الأودية أهمها واد بوسلام، وواد بن دباب، كلّ هذا

[1] -Ibid.

[2] -Ibid.

جعل منها منطقة التقاطع والالتقاء، يمكن القول بأنّ مدينة سطيف تعد مفترق طرق حقيقي للمبادلات ومركز عبور إجباري للتجارة ما بين منطقة الهضاب العليا والمنطقة الوسطى من جهة، والمنطقة الشمالية الشرقية والشمالية الغربية من جهة أخرى، "هذه الوضعية الممتازة تدعمت فعلا بعد إنجاز مطار 8 ماي 1945م بعين أرنات (على بعد 9 كلم من مدينة سطيف)، وإنجاز الطريق السريع شرق غرب"[1].

جـ- الاتصال: "موقع تلاقي وتكامل التبادلات بين جهتين أو وسطين، أو مجالات اقتصادية مختلفة"[2].

وتعتبر مدينة سطيف نقطة اتصال بين عاصمة البلاد وعاصمة الشمال الشرقي قسنطينة، فهي بذلك تعد موقع تلاقي وتكامل التبادلات بين هذين المجالين المختلفين اقتصاديا وفي المجالات الأخرى، بالإضافة إلى التبادلات التي تحدث مع الإقليم الجنوبي.

2- الموضع: عكس مفهوم الموقع، الموضع ذو مقياس محلي حيث يأخذ بعين الاعتبار خاصية أو مجموعة خصائص المنطقة التي توجد فيها المدينة فهو نظريا مفهوم بسيط ومحدد، لكن يجب معرفة المفهوم القديم والأفكار الحديثة حول المواضع المنشأة واستعمالاتها.

"فالمفهوم القديم للموضع هو مفهوم جغرافي يخص الوسط الفيزيائي للمدينة (مجموعة من العناصر الفيزيائية)، جيولوجيا، تضاريس، مناخ، شبكة مائية، تربة، الغطاء النباتي الذي يشكل الإطار الفيزيائي للمدينة.

أمّا المفهوم الحديث فيتلخص في عنصرين أساسيين: المواضع المنشأة وسعة أو طاقة الموضع"[3]، وتقع مدينة سطيف على أراضي منبسطة سهلة التعمير مقارنة بمدن أخرى كمدينة قسنطينة مثلا، وتتميز بما يلي:

* تدرج في الارتفاع من الشمال إلى الجنوب بانحدار لا يتعدى 15%.

---

[1] -Ministère de L'équipement et de la Ménagement Territoire**: Les Villes dans La Revitalisation des Espaces Plateaux**, P. 184.

[2] -Pelletier (J) , Delfante (CH) : op.cit, P, P. 15-24.

[3] -Ibid.

* المنطقة الشمالية تعرف نوع من التضرس زيادة على تشعبات تشغل مساحة 6504 كم، أي 0.27% من المجال الوطني مقابل 127كم (12700هكتار) [1].

3- الخصائص الجيولوجية: تمتاز مدينة سطيف بتنوع كبير في تكويناتها الجيولوجية سواء من حيث العمر، الطبيعة، أو من حيث الانتماء إلى الوحدات البنائية، ونميّز ثلاث مجموعات رئيسية هي:

أ- تكوينات الزمن الرابع"Quaternaire": وتنقسم إلى ثلاثة أنواع هي :

* تكوينات حالية وحديثة. * تكوينات غير محددة.

* تكوينات قديمة.

ب- تكوينات الميوبليوسان القاري "Moi-Pliocène".

ج- تكوينات تلية: وتتمثل في تكوينات غطاء جميلة، وتنقسم إلى قسمين:

* تكوينات اليبريسيان (lypresion) واللوتيسيان السفلي (lutétieninférieur).

* تكوينات الكامبينيات العلوي (supérieur componien) والماستريشيان السفلي (Mastrichtien inférieur).

ثانيا: التطور التاريخي لمدينة سطيف:

إنّ نشأة مدينة سطيف تعود بجذورها الأولى إلى ما قبل العصر الروماني، والمتفحص لتاريخ هذه المدينة يمكن له التمييز بين أربعة عهود تركت بصمات واضحة على الأقل من الناحية العمرانية وهي:

1- عهد ما قبل الرومان:

كان يقطن مدينة سطيف منذ آلاف السنين مجموعة من السكان منحدرين من رجل يدعى "كرومانيو" الذي انحدر من ذريته الأمازيغ والذين تنظموا على شكل قبائل[1]. ولم تظهر

[1] -Said Atoui: Problematique de L'urbanisation Spontane en Algerie (Cas de Setif), **Thèse de Magistere L'architecture** 2001-2002, P. 67.

الدولة الجزائرية إلاّ بعد القرن الثالث والثاني قبل الميلاد، إذ برزت مملكتين هما كل من مملكة الميساسيلية التي تحدها من الشرق واد بومرزوق الذي يصب في واد الرمال ومن الغرب المولاية، وكان يحكمها "سيفاكس"، ووراءه توجد مملكة ماسيليا بقيادة "ماسينيسا"؛ و"كانت منطقة سطيف تابعة إلى مملكة ميساسيلية أثناء الحروب الفينيقية التي دامت من 264 إلى 146 قبل الميلاد"[2].

في هذه المرحلة تحالف "سيفاكس" مع قرطاجة، بينما بقي "ماسينيسا" حليفا لروما وبعد انهزام قرطاجنة تحصل "ماسينيسا" على نوميديا جزاء تحالفه مع روما وبقي بذلك تحت وصايتها، وإلى أن مات ابنه "ماسيبسا" أين اشتّد التنافس بين أحفاده ومنهم "يوغرطا" الذي كان ينوي منح الاستقلال لنوميديا غير أنّه لم يستطع تحقيق حلمه بعد وصوله إلى السلطة وسمح ذلك الإخفاق للرومان بالتدخل وغزوه.

2- عهد الرومان:[3]

بعد دخول الرومان قاوم الأهالي هذا الغزو تحت قيادة "يوغرطا" الذي قاتل "ماريوس" قرب مدينة سطيف وانهزم في سنة 105 ق.م، أمّا خلال تولي "يوبا" للحكم المتوفى سنة 46 ق.م و"يوبا الثاني" الذي حكم من سنة 25 ق.م إلى غاية سنة 23م و"يوطومي" الذي تولى الحكم بعد "يوبا الثاني" مباشرة إلى غاية سنة 42 م فقد كانت مدينة سطيف جزءا لا يتجزأ من موريطانيا القيصرية، وازداد خلال هذه الفترة تدخل الرومان في شؤونهم الداخلية مما أدّى إلى نشوب ثورات أشهرها ثورة "تاكفاريناس" الذي كان عضوا في الجيش الروماني، حيث نظم جيشا ما بين سنة 17م و24م من الأهالي من بينهم سكان مدينة سطيف الذين ساهموا مساهمة فعالة في تلك الثورة، وبتعدد هذه الثورات والانتفاضات تمّ سنة 42م ضمّ كل شمال إفريقيا إلى إمبراطوريتهم.

---

[1]- مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية: مصلحة الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، **ولاية سطيف بالأرقام 1995**، ط.11، ص02.

[2] -(A.P.C de Sétif),**Sétif et sa Region Commune de Sétif**,Septembre 1986, P. 02.

[3]- مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية: نفس المرجع، ص03.

وما يميز هذه المرحلة هو اهتمام الرومان بمدينة سطيف نظرا لموقعها الاستراتيجي الذي يسيطر على الأراضي ذات الجودة العالية لزراعة القمح ، ويساعد على التنقل وبذلك تحولت المدينة إلى مخزن للقمح.

ولهذا قرر الإمبراطور "نيرفا" في سنة 97م إنشاء مستعمرة لقدماء الجيش في موقع سيتفيس والذي أطلق عليه عدّة تسميات منها (كولونيا، نيرفانيا، أوغيسطا، مارطالس، سيتيفاسيوم)؛ وستيفيس تسمية رومانية مشتقة من كلمة أمازيغية "**أزديف AZDIF**" وتعني التربة السوداء.

وفي سنة 235م تزعزعت الدولة الرومانية حيث عرفت خطر الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي أدت إلى انتفاضات وثورات عبر إفريقيا الشمالية وأشهرها ثورة فيرميس المتوفى سنة 375م وابنه جليدون المتوفى سنة 398م، وبذلك قسمت موريطانيا القيصرية بأمر من الإمبراطور "ديوكرتيان" سنة 297م إلى ناحيتين: مريطانيا القيصرية بقيادة "ديوكرتيان" وموريطانيا سيتيفانيس بقيادة "قسطنطين" التي عاصمتها سطيف وباستمرار هذه الثورات انهارت الإمبراطورية الرومانية.

هذا الانحطاط الذي مس مدينة سطيف وضواحيها تضاعف بالزلزال العنيف الذي هدم المدينة عن آخرها سنة 419م حيث يصف القديس "أوغسطين" هذه الكارثة قائلا: « لقد كانت الهزات عنيفة إذ أنّ السكان أرغموا على البقاء خارج بيوتهم طيلة 05 أيام ».وتفاقمت الأوضاع بغزو الوندال ونهبهم لشمال إفريقيا واحتلالهم للمدينة سنة 429 الذي دام إلى غاية 539م حيث احتل العميد البيزنطي "سالومون" المدينة وقام بترميمها وجعلها عاصمة لإقليم موريطانيا الأولى، غير أنّ مجيء البيزنطيين إلى شمال إفريقيا كانت محاولة فاشلة لإحياء مجد الإمبراطورية الرومانية لأنّ هيمنتها لم تستمر طويلا نظرا لعدم سيطرتها على زمام الحكم نتيجة الثورات المتتالية من قبل الأهالي من جهة وظهور الإسلام من جهة أخرى، ولم يبقى منها إلاّ القلعة البيزنطية التي تمثل حاليا حديقة التسلية بالمدينة.

3- العهد الإسلامي:

ففي سنة 647م وقعت أوّل حملة لنشر الإسلام في شمال إفريقيا وفي سنة 705م ثمّ فتحها، وهذا بفضل الرسالة الدينية والسياسية والاجتماعية التي حملها المسلمون إلى الأهالي والتي لاقت ترحابا وافيا بعدما فهموا محتواها وأهدافها السامية[1].

وخلال الثلاثة القرون الموالية كانت شمال إفريقيا ومدينة سطيف بالخصوص تابعة للخلافة الأموي ثمّ العباسية، وبعد ضعف هذه الأخيرة ظهرت إلى الوجود دويلات منها الدولة الفاطمية التي أسسها عبيد الله المهدي "بمعونة الداعية" أبو عبد الله الذي استطاع خلال موسم الحج أن يتصل بأهالي كتامة ويقنعهم لكي ينشأ الدولة الفاطمية وكان له ذلك سنة 904م، غير أنّ وجود الفاطميين في ناحية سطيف لم يدوم طويلا حيث انتقلوا إلى مصر أين أسسوا مدينة القاهرة سنة 969م، وبذلك بقيت مدينة سطيف خاضعة للدول التي تتابعت حتى وصول العثمانيين وهي الزيريون الذين خلفوا الفاطميين في شمال إفريقيا، الحماديين، المرابطين، الموحدين ثم الزيانيين، وظلت مدينة سطيف خلال هذه الفترة مجهولة.

4- عهد الاستعمار الفرنسي:

بعد احتلال الفرنسيين لمنطقة سطيف في 15 ديسمبر 1938م بقيادة العميد « قالبوا Galbois »، لم تسلم مدينة سطيف من السياسة الاستعمارية المنتهجة من طرفهم والتي تخدم الأوروبيين فقط أمّا الأهالي فقد انتزعت منهم الأراضي وطبقت عليهم سياسة التفقير والتجهيل والحرمان على غرار المدن الأخرى، بسبب سلسلة من القوانين التعسفية التي انتهجتها الحكومة الفرنسية مثل قانون فاريني، وهذه العملية تمت بمساعدة البنوك الكبرى والشركات العقارية والرأسمالية، وبذلك تحصلت شركة جنيف على الجزء الأكبر من الأراضي الفلاحية بمنطقة سطيف، وبعدها تمّ إنشاء الدولة الأوروبية على أثر القرار الملكي الصادر سنة 1847م، باستغلال الكثير من الآثار الرومانية كتكتلات عسكرية، وبذلك تحددت لأوّل مرة مدينة النواة بأربعة جدران مفتوحة على أربعة جهات وتتميز بقسمين واضحين المعالم هما القسم الروماني

[1]- نفس المرجع، ص، 04.

الذي يحتوي على ثكنات عسكرية والقسم الجنوبي مخصص للفواكه والخضر عالية الجودة، وبالضبط في يوم 17 حزيران (جوان) 1854م أصبحت كبلدية ذات صلاحيات كاملة "Commune de pleine exercice"[1].

وبفضل موقعها الذي يتوسط عاصمتين ثوريتين كبيرتين (الجزائر وقسنطينة) جعلها نقطة الالتقاء والاحتكاك الإيجابي لمختلف الأفكار والتيارات السياسية والثقافية والثورية، ولا شك أنّ أحداث 08 ماي 1945م هي نتيجة لذلك.

وما يميز هذه المرحلة هو نشأة نواة المدينة وتبعتها ظهور الأحياء المحيطة بها، وذلك بفضل المخطط الحضري الذي وضعته الحكومة الفرنسية لمدينة سطيف، في إطار مخطط أو مشروع قسنطينة.

ثالثا: التوسع العمراني لمدينة سطيف:

إنّ الهدف من دراسة مراحل التوسع العمراني لمدينة سطيف من شأنها إبراز مدى تأثير الزيادة السكانية – الطبيعية وغير الطبيعية - على استعمال المجال، وهذا لا يتأتى إلاّ بعد معرفة تاريخ المدينة لما له من أهمية في تفسير وتيرة نموها واتساعها، وعليه يمكن تقسيم مراحل التوسع العمراني للمدينة إلى ثلاث مراحل متباينة وهي: (أنظر الخريطة رقم 01)

1- مرحلة ما قبل الاحتلال الفرنسي:

يعود تاريخ نشأة مدينة سطيف إلى عصر ما قبل الرومان، غير أنّ أول من حدد لها مجالها الجغرافي وأحاط بها أسوار هم الرومان حيث تربعت على مساحة تقدر بـ 40 هكتار"[2]، وشهدت حركة تنموية وتنظيما إداريا واجتماعيا خاصا، حيث أعطوا للمدينة صبغة جمالية وفنية و"مازالت الآثار التي خلّفتها شاهدة إلى يومنا هذا من حدائق ونافورات وحمامات أرضية مثل الذي عثر عليه أثناء الاستعمار الفرنسي في حديقة رفاوي ساعد، وصبغة دينية كالمعابد المسيحية التي تمثل اليوم جامع ابن باديس، بالإضافة إلى حديقة الأمير عبد القادر التي تحتوي

[1]- نفس المرجع، ص 06.

[2] -Said Atoui: op.cit, p. 58.

على 200 قطعة منقوشة وأعمدة بها كتابات لاتينية تشهد كلها على حضارة مدينة سطيف ثمّ بعدها أصبحت عاصمة لموريتانيا سيتيفانيس[1].

أمّا في الفترة الإسلامية فلم تحضى مدينة سطيف بالأهمية التي حظيت بها بعض المدن الجزائرية على غرار مدينة بجاية وتلمسان مثلا، فالأتراك لم يقوموا بأي خطوة لتطوير وتوسيع المدينة بل بقيت كمّا تركها الرومان، إذ أنّ الأتراك بعد دخولهم للجزائر خلال القرن 16 للميلاد، عملوا فقط على تطوير المدن الساحلية لأغراض تجارية بعد نمو المبادلات مع الخارج وبذلك بقيت مدينة سطيف حتى دخول الاستعمار الفرنسي واجهة لقلعة قوية، تتصل مع الخارج عن طريق أربعة أبواب رئيسية وأصبحت مركز مهم للمبادلات التجارية يحتل مركزها أي (الموقع القديم) مساحة تقارب 40 هكتار.

2- مرحلة الاحتلال الفرنسي:

ويمكن تقسيم هذه المرحلة بدورها إلى مرحلتين متباينتين تتميز المرحلة الأولى بظهور المدينة الأم ونموها، في حين تتميز المرحلة الثانية بانتقال النمو العمراني نحوى الأطراف والضواحي التي أصبحت اليوم تمثل مزكر المدينة، وهي:

أ- المرحلة الأولى: 1839-1954: نشأة النواة:

منذ دخول المستعمر الفرنسي منطقة سطيف عرفت المدينة عدّة تغيرات هامة في التوسع المجالي ونمط البناء، "فبعد أن كانت أنقاضا لبنايات يرجع تاريخها إلى العهد الروماني، حولها إلى مدينة استعمارية سنة 1847م"[2]، وتمثل سنة 1843م تاريخ وضع أوّل مخطط حضري لمدينة سطيف «le premier plan urbain de sétif»،[3] "حيث تمّ إنشاء مركز للبريد ومسجد العتيق هذا الأخير الذي نشأ بأمر صدر سنة 1845م، ثمّ صدر قرار عام 1847م يتضمن إنشاء النواة الأوربية حيث تمّ إنشاء من خلاله البنك سنة 1855م، ثمّ فندق المدينة

[1]- سطيف عبر العصور الإسلامية: **مجلة الشهاب الشهرية**، العدد الثاني، محرم 1426، ص، 07.

[2] -M. Cote: **Guide d'Algerie** (Paysage Et Patrimoine): P.P. 144 - 945.

[3] -www.Google.Com.Http/Sétif, 19.Com. 21/01/2006, 21:23.

وقاعة الحفلات سنة 1856م، وتمّ أيضا استغلال الأراضي الخصبة، ومنحت امتيازات لشركات أجنبية بمرسوم 26 أفريل 1863م"[1] منها امتياز استغلال 20 ألف هكتار من الأراضي الزراعية شركة سويسرية "compagne genevoise" التي عملت على تشكيل عدّة قرى محيطة بالمدينة منها: عين السفيهة، عين الطريق، فرماتو، الحاسي، الباز، عين الموس...الخ، كما تمّ خلال هذه المرحلة إنشاء عدّة تجهيزات داخل المدينة مثل: محكمة من الدرجة الأولى عام 1866م، وكنيسة saint Monique، ثانوية ابن باديس حاليا سنة 1867م، وإنشاء مدرسة collège coloniale، ثانوية قيرواني حاليا سنة 1873م، ومراكز إدارية أخرى سنة 1874م، وعليه أخذت المدينة تتوسع خارج حدود الأسوار إذ نميّز فيها شارعين أساسيين هما:[2]

* الشارع العسكري في الشمال: مكان القلعة ومحاط بثكنات عسكرية.

* الشارع المدني في الجنوب: يتميز باستغلال كبير للمجال، يعكس مظاهر الحياة للمعمرين أنذاك حيث الطرق واسعة مع أرصفة مزيّنة بأشجار؛ محلات ودكاكين؛ مساكن وعمارات؛ تجهيزات متنوعة.

وينقسم هذا الأخير إلى ثلاث شوارع أخرى – نهج - وهي:[3]

- Avenue jean Jaurès أوّل نوفمبر 1954 حاليا.
- Avenue Clemenceau 8 ماي 1945 حاليا.
- Avenue Paul Doumer السعيد بوخريصة حاليا.

بالإضافة إلى تجمع قديم على أرضية البلدية تمّ كراءه 1881م لبعض السود أصبح فيما بعد يدعى village mègres أو ما يعرف بالزمالة.

وبعد 1881م ظهر تموضع سكاني آخر يتميز ببنايات فخمة من نوع فيلا بحدائق منزلية تسكنها الطبقة الأوربية المتوسطة وهي حي Bon marché بالجنوب الشرقي – حي تليجان حاليا -

[1]- المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير: ص،119.

[2] -www.Google.com.http/Setif.19.com. opcit.

[3] -Said Atoui: op.cit, p. 58.

، كما استفادت مجموعة من العائلات بقطع أرضية صغيرة لاستغلالها في نشاطاتها الحرفية ويتموقع هذا الحي بالشمال ويسمى بحي الهواء الجميل Bel air.

أمّا عام 1896 فقد تمّ إنشاء مسرح بالمدينة ووضع تمثال عين الفوارة سنة 1898م من طرف Franceis de saint vidal، بالإضافة إلى إنشاء الحدائق العامة مقابل عين الفوارة place Joffer، وسوق وكنيسة.

وبعد الحرب العالمية الأولى استمرت السلطات في استغلال المجال بحيث خصصت أحياء خاصة بقدماء الحرب (1914-1918) تدعى حي قدماء الحرب في الجنوب الغربي للمدينة، وحي آخر يعتبر الثاني من نوعه بحي ثليجان يدعى Cite levy سنة 1925م.

وخلال هذه المرحلة أوصلت المدينة بخط سكة حديدية باتجاه مدينة قسنطينة بالجنوب الشرقي للمدينة وهدمت الأسوار التي كانت تحيط بها وعوضت بشوارع امتدت في كل الاتجاهات[1]، وهنا يمكننا القول أنّه تأكد أوّل تعامل خارج القلعة وبالتالي ظهور أوّل وعي حضري خارج أسوار المدينة وتميزت بظهور: [2]

* باب بجاية القلعة الشمالية: ترك المجال فارغا لأغراض عسكرية.

* باب الجزائر في الغرب: تشكل حدائق والذي يتميز بكثرة منابع المياه بالإضافة إلى حديقة للتنزه الأمير عبد القادر حاليا، والتي تعتبر كمتحف مفتوح على الهواء نظرا للآثار والتماثيل التي كانت تحويها، بالإضافة إلى مستشفى مدني 1939م.

* باب بسكرة في الجنوب: وتشكل أحياء محيطة وراء قصر العدالة، والمركز الرئيسي للشرطة، تموضع عليه سوق عرب Marché arabe ونهج Leclerc وملعب Egirunt قصاب حاليا، وحديقة Erlacier وثانويتين Alberlini – قيرواني - وثانوية جديدة للبنات – مليكة قائد - حاليا.

* باب قسنطينة في الشرق: حي المحطة يحوي مساكن بالإضافة إلى مطاحن ومخازن للحبوب يتموضع هذا الحي أمام مسجد أبو ذره الغفار والذي أنشئ سنة 1928م، ومقبرة مسيحية، وحي

[1] -M.Cote: op.cit, p. 144.

[2] -Denise (M): **Sétif de ma Jeunesse, Septembre**, 2001, (CD).

عمال المحطة والذي يتميز بمساكن تضم حدائق خاصة تسكنها البرجوازية المتوسطة بحواف الطريق الوطني رقم (05).

هذا النمو على أساس نواة إيضاحية وفرت كل المرافق الضرورية من خدمات، تجارة، إدارة، نقل، صناعات صغيرة، حرف....الخ، والتي تعتبر كمؤشر للدور الذي كانت تمارسه التجمعات الحضرية الأوربية في المدن الجزائرية ومدينة سطيف كمثال عنها.

ب- المرحلة الثانية: 1954-1962م: ظهور الأحياء المحيطة:

مع اندلاع الثورة التحريرية، أصبح القطاع الزراعي يضم أعدادا هائلة من العمال ممّا أدى إلى انخفاض الأجور وزيادة نسبة البطالة وأمّا السياسة العسكرية المتبعة من طرف المستعمر في هذه الفترة من إقامة للمحتشدات، وسياسة الاضطهاد والتقتيل والتعذيب....كل هذا أدى إلى زيادة نسبة النازحين من الريف إلى المدينة بحثا عن الأمن والاستقرار وبذلك نشأت عدّة أحياء وتجمعات سكانية بحواف المدينة النواة التي أسسها المستعمر الفرنسي ومنها:[1]

* ظهور حي يحياوي (طانجة) 1954م: بعدما اشترى المضطهدون النازحين من الريف قطع أرضية صغيرة، وقاموا ببناء منازل فوقها، وتزامن ظهور هذا الحي تموضع مراكز للمراقبة منها Ancien parc a fourrage الحماية المدنية حاليا في الغرب، Gard mobile مركز الدرك الوطني حاليا مع بناء مدرسة ابتدائية l'école maternelle سنة 1956م، مدرسة الشيخ عبدو حاليا في الجنوب مقابل المقبرة الإسلامية، مع تواجد مقبرة للمسلمين واليهود في الجنوب.

* في هذه المرحلة تمّ بناء عمارات جماعية لديار النخلة وتمركز تجزئة pierre gaillet للمدنيين الجزائريين، وبعد عام 1956م سمي بشارع بيرقاي وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا المجال كان عبارة عن حقول للقمح، وبنيت هذه المساكن حول شارع الإمام بونشادة في الجنوب الغربي بمحاذاة الطريق الوطني رقم 28 نحو مدينة بسكرة.

* بناء منازل جماعية من نمط الحارة في الأحياء المحيطة بالمحطة. * ظهور حي لندريولي سنة 1959م.

[1]- المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير: **تحليل الوضعية الحالية**، ص، ص. 128، 130.

وعليه أصبحت المدينة مقرا للمحافظة سنة 1956م، كما تمّ إنشاء عدّة مرافق أخرى كمركز التكوين المهني والتقني سنة 1957م بمحاذاة باب بسكرة «CENT» ومحكمة جديدة سنة 1959م، ومركز رئيسي للشرطة سنة 1960م.

كما لا ننسى أنّ مدينة سطيف استفادت من مخطط أو مشروع قسنطينة سنة 1958-1962م، الذي كان يهدف إلى إقامة عدّة مشاريع للتخفيف من حدّة الثورة والتي كانت في هذه المرحلة على أوجها ومن خلاله تمّ إنجاز ما يلي:[1]

* حي المستقبل سنة 1960م.
* حي السيلوك يحتوي على 180 مسكن سنة 1960م.
* حي 130 مسكن في نفس السنة.
* حي 66 مسكن، السور القديم سنة 1961م.
* وحي بيلار " الهواء الجميل 103 مسكن " في نفس السنة مع حي الموظفين.

وفي عام 1958م تمّ بناء المستشفى العسكري الفرنسي في شمال حديقة الأمير عبد القادر وهو المستشفى الجامعي سعادنة عبد النور حاليا، وقد شهدت مدينة سطيف عموما في هذه الفترة توسعا عمرانيا فوضويا خاصة في الشمال الشرقي للمدينة.

وبهذا أصبحت مدينة سطيف تتربع على مساحة قدرها 285.15 هكتار، وفي سنة 1960م تمّ تعميم كامل للتشريع الحضري الفرنسي في الجزائر، ولأوّل مرّة أنجزت دراسات خاصة، وتمّ وضع المخطط الحضري الموجه (**PUD**) سطيف ومثل باقي مدن الشرق الجزائري استفادت المدينة بعدد من السكنات والمشاريع لإنجاز أحياء (**PUD**) الذي وضع ما بين 1959م و1960م، هذا المخطط جاء لتنظيم المجال الحضري وتصحيح نماذج التحضر الموجودة عامة والسكن خاصة، وتطرق لمشاكل التهيئة، ووضع سياسة عامة للحركة الحضرية وتهيئة المجال وتوجيه بذلك التحضر في المستقبل.

[1]- **دليل الجامعة**: مؤلف من طرف نيابة الرئاسة المكلف بالتخطيط والتوجيه والإعلام، جامعة فرحات عباس سطيف، أوت 1993، ص، 19.

3- مرحلة الاستقلال:

بعد حصول الجزائر على السيادة الوطنية إتخذ النمو الحضري أبعادا جديدة غير ما كان عليه إبان الإحتلال، تتحكم فيه السياسة التنموية للدولة المستقلة التي ركزت أساسا على القطاع الزراعي في البدايات الأولى للإستقلال ثم على القطاع الصناعي في خضم النظام الإشتراكي، ثم الإنفتاح على إقتصاد السوق بعد الإنفتاح السياسي على نظام التعددية، كل هذا أثر على سيرورة النمو العمراني مدينة سطيف على غرار مختلف المدن الجزائرية، وعليه يمكن التمييزبين ثلاث مراحل للنمو العمراني لمدينة سطيف وهي:

أ- المرحلة الأولى:1962-1970م: المخططات التنموية:

عرفت ما بعد الاستقلال المخططات التنموية، وكان أوّل هذه المخططات المخطط الثلاثي 1967-1970م، والذي كان موجها بالدرجة الأولى للاستثمار في القطاع الصناعي، أمّا بالنسبة للعمران فهذه الفترة تميزت بإتمام إنشاء بعض المشاريع السكنية التي تركها المستعمر « في إطار مخطط قسنطينة »، وأهم هذه المشاريع نذكر:[1]

* حي الهواء الجميل 130 مسكن سنة 1962م.
* حي السور الجديد 121 مسكن سنة 1966م.
* حي سنيستال 230 مسكن سنة 1968م.
* حي بوعروة 120 مسكن سنة 1970م.
* حي بيزار 120 مسكن سنة 1970م.
* حي 80 مسكن سنة 1970م.

فأصبحت مساحة المدينة في آخر هذه المرحلة 490.20 هكتار أي بوتيرة نمو بـ 18.82 هكتار/سنة.[2]

[1] -www.Google.com.http/Setif.19.com. op.cit.

[2] - www.Commune. Sétif.Org. 21/01/2006, 23 :40.

ب- المرحلة الثانية: 1970-1985م: مرحلة التجمعات السكنية الكبرى:

وتميزت هذه الفترة بظهور نمط آخر من السكن وهو التجمعات السكنية الكبرى والتي جاءت لتلبية حاجات المواطنين من السكن باعتبار أنّ هذه الفترة عرفت أزمة سكنية حادة، ناجمة عن زيادة موجات النزوح الريفي نحو المدينة بحثا عن مناصب العمل، خاصة بعد إنشاء المنطقة الصناعية، هذا ما جعل قطاع السكن يفرض نفسه بحدّة في المخططات التنموية (الرباعي الأوّل، الرباعي الثاني، المخططات القطاعية، القطاعات الولائية) وتتميز هذه المرحلة بإنجاز المشاريع التالية:

* حي 750 مسكن الهواء الجميل (طريق بجاية).
* حي 600 مسكن في شمال المدينة
* حي 300 مسكن بالمعبودة (طريق الجزائر).
* حي 1000 مسكن في جنوب المدينة (طريق المسيلة).
* حي 400 مسكن في جنوب المدينة (طريق المسيلة).

بالإضافة إلى مشاريع المنطقة الحضرية الجديدة (Z-H-U-N): 1014 مسكن و1006 مسكن، وظهور تخصيصات في كل من التجمعين الثانويين: - فرماتو 116 قطعة أرض. - عين الطريق 266 مسكن.

أمّا من حيث المرافق فقد تمّ إنجاز كل من ثانوية الخنساء، مدرسة التكوين شبه الطبي، مركز بلدي، بالإضافة إلى إنشاء في هذه المرحلة جامعة فرحات عباس في الشمال الغربي للمدينة وبذلك شهدت المدينة توسعا عمرانيا وصلت مساحته نحو 895 هكتار أي ما يعادل استهلاك 44.97 هكتار/سنة.

ج- المرحلة الثالثة: 1985- إلى يومنا هذا – الوكالات العقارية:

وما يميّز هذه المرحلة هو الاتجاه نحو اقتصاد السوق، وظهور الوكالات العقارية التي لعبت دورا هاما في المضاربة العقارية من جهة وإنجاز المشاريع السكنية من جهة أخرى، وبذلك سيطر نمط السكن الفردي في هذه السياسة الجديدة، حيث تمكنت الطبقات الاجتماعية

العليا من تحقيق مشاريع سكنية، فتوسعت المدينة من الشرق والشمال الشرقي، ففي هذه المرحلة:[1]

- تمّ تكملة البرنامج الاجتماعي لـ 1014 مسكن، برنامج الصندوق الوطني للتوفير والاحتياط « CNEP » بالإضافة إلى 1006 مسكن الذي تمّ أيضا تكملته في هذه الفترة.

- تحويل السكان نحو القرية الضحوية " عين الطريق "واستمرار البرامج السكنية.

- إنجاز مشاريع سكنية وتخصيصات كتوسع حي حشمي (كل من تجزئة رقم 01، حي بوعروة دلاس، حي أوّل نوفمبر، تجزئة أولاد ابراهم، التعاونيات العقارية لتجزئة « شادلي »، مرواني، «**IAP**»).

- استغلال المجالات أو الجيوب الفارغة في كل من حي يحياوي، تليجان، المعدومين الخمسة.

- إنجاز مشروع 200 مسكن.

- وضع مرافق عمومية وشركات بحي بيزار:L'inspection ERIAD SNASAT.

- تجزئة الهضاب، وهي سكنات من نوع فردي.

- بالإضافة إلى توفر المدينة على تجهيزات أخرى كالفنادق، حديقة التسلية، الأرشيف، مؤسسة سونلغاز ببوعروة، السوق المغطاة لحي المستقبل، مدارس ابتدائية في كل من بن بقاق شمال حي يحياوي، المعبودة، مركز يحياوي، المنطقة الحضرية الجديدة، وإنجاز القطب الجامعي الثاني الباز، وعدّة إقامات جامعية.

وبهذا تعتبر هذه المرحلة من أهم المراحل من حيث استهلك التوسع المجال بالمدينة مساحة تقدر 2073 هكتار سنة 1990م أي بزيادة تقدر بـ 1178 هكتار وبمتوسط سنوي يعادل 107 هكتار/سنة، بالإضافة إلى 1008.88 هكتار تتربع عليها مشاريع الترقية العقارية أمّا باقي المساحة المقدرة بـ 162.22 هكتار فتشغلها مشاريع صناعية واقتصادية، إذ تمّ إنشاء وحدة العتاد الفلاحي O.N.A.M.A بالمنطقة الشمالية الغربية للمدينة، كما شهدت توسعا في كل من المنطقة الصناعية ومنطقة النشاطات، أمّا في آخر هذه المرحلة فمساحة المدينة تتعدى 2210

[1] -Ibid.

هكتار أي بزيادة من عام 1990م تقدر بـ 137 هكتار وبمعدل استهلاك سنوي قدره: 11.32 هكتار/سنة.

وما يميّز هذه المرحلة أيضا هو توجيه السكان نحو التجمعات الثانوية المحيطة بالمدينة، "ببرمجة تحصيصات ترقوية سنة 1985م، في كل من عين الطريق التي استفادت من 266 قطعة أرض وتجهيزاتها المرافقة على مساحة تقدر بـ 8.9 هكتار وتجمع فرماتو المستفاد من 116 قطعة أرض على مساحة 10.1 هكتارا، والحاسي بـ 107 قطعة أرض على مساحة 3.25 هكتارا"[1] بالإضافة إلى إنشاء وحدات التشغيل في كل من فرماتو، عين الطريق، عبيد علي، عين السفيهة، قصد تثبيت السكان بها.

وفي سنة 1995م استفادت التجمعات الثانوية أيضا من عدّة تحصيصات قصد توجيه السكان إليها لإزالة الضغط على المدينة وبذلك "استفاد تجمع شوف الكداد من تحصيص 140 و79 قطعة أرض وتحصيص عين الطريق بـ 853 قطعة أرض من النوع الترقوي على أربعة حصص، و317 قطعة أرض من النوع الاجتماعي، بالإضافة إلى تحصيصات الخواص في عين السفيهة، تحصيص بن جابلة، قتال ورجاح هذا بعد 1995م"[2].

ومن خلال مراحل التوسع المجالي التي شهدتها مدينة الهضاب العليا يتجلى لنا أنّها امتدت في جميع الاتجاهات، إلاّ أنّ التوسع كان أكبر من الناحية الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية، متبعا بذلك خطّة النمو المركزي (ZONAL–CONSENTRIC) للعالم (E.W. BERGESS) متخذة شكلها العام، لكن تركيب الحلقات متناوب، وهذا ما تمتاز به المدن ذات النشأة الاستعمارية الواقعة في السهول مثل: سيدي بالعباس، برج بوعريريج، باتنة، غليزان، العلمة ومدينة سطيف[3]، حيث نجد أنّ المركز الأوربي محاط بأحياء المعمرين، تليها حلقة من أحياء الضواحي الكلاسيكية، ثمّ الضاحية الجديدة (مبادرة من الدولة)، ثمّ تليها منطقة التجمعات الثانوية.

[1]- الوكالة العقارية لولاية سطيف: **مخططات الكتلة للتحصيصات**.

[2]- مديرية التعمير والبناء لولاية سطيف.

[3] -M.Cote: **L'Espace Algérien. Les prémices d'un Aménagement**, p. 224.

رابعا: مراحل التحضر بمدينة سطيف:

تعتمد الدراسة في تناول التحضر بمدينة سطيف على نتائج مختلف الإحصاءات الوطنية، ولاستيعابها أكثر يجب التمييز بين ما هو ناتج عن الزيادة الطبيعية للسكان وما هو ناتج عن النزوح الريفي خاصة بعد استرجاع السيادة الوطنية، حيث عرفت المدينة موجات متتالية من النزوح، وأيضا خلال العشرية الأخيرة من القرن الماضي التي ارتفع خلالها معدّل النزوح الريفي نحو المدينة بحثا عن الأمن والاستقرار باعتبار مدينة سطيف لم تعرف توترا أمنيا مثلما عرفته بعض المدن الأخرى كجيجل والعاصمة مثلا، ممّا جعلها نقطة جذب هامة، ومن خلال هذين المؤشرين – الزيادة الطبيعية والنزوح الريفي - يمكن لنا تمييز أربعة مراحل أساسية للتحضر بمدينة سطيف بعد 1954م، أمّا ما قبل هذا التاريخ فلا تتوفر معلومات وإحصائيات حولها ممّا جعلنا نستغني عنها، والجدول رقم (01) (في الملاحق) يلخص لنا مراحل النمو السكاني وتطور عدد المساكن بمدينة سطيف والتجمعات الثانوية المحيطة بها.

1- المرحلة الأولى: 1954-1966م "ارتفاع معدل النمو الحضري":

تتميز هذه المرحلة بمعدل نمو سكاني عالي، حيث كان يقدر عدد سكان المدينة بـ 42000 نسمة منهم 35490 جزائري و6510 أوربي سنة 1954م، ليصل إلى 88212 نسمة سنة 1966م، أي بمعدل نمو قدره 6.38%[1]، وهو معدل يفوق المعدل الوطني لنفس الفترة المقدر بـ 4.70%[2].

وهذا يدل على أنّ هذه الزيادة غير الطبيعية ناجمة عن النزوح الريفي الكثيف نحو المدينة خلال فترة الثورة التحريرية هروبا من قمع المستعمر وسياسة المحتشدات والتفقير والتعذيب التي كان يمارسها على سكان المناطق الريفية باعتبار الريف الجزائري هو من احتضن الثورة وساندها ودعمها، وما زاد من حدّتها – الهجرة -، رحيل المعمرين وتركهم لأماكنهم شاغرة، ممّا دفع بالطبقة المحرومة وغير المالكة للأرض في المناطق الريفية للنزوح إلى المدينة والمناطق المحيطة بها والإقامة في البنايات الشاغرة التي تركها المعمرون، هذا بالإضافة إلى

[1]- التعدادات الوطنية: لسنة 1954 وسنة 1966.

[2]- نفس المرجع.

سياسة الدولة التي انتهجتها بعد الاستقلال، حيث عمدت إلى جلب الفلاحين من المناطق الريفية نحو المزارع الحكومية القريبة من المدينة، وبذلك أصبحت مدينة سطيف على غرار المدن الجزائرية الأخرى نقطة جذب للسكان من المناطق الريفية بحثا عن مناصب العمل وعن السكن، وأنّ المدينة عرفت خلال السنوات الأولى من الاستقلال توفر عدد هائل من السكنات والعمارات التي هجرها المعمرون، ونذكر منها عمارات ديار النخلة الناتجة عن مخطط قسنطينة، حي سانستال وحي الهواء الجميل، غير أنّ في آخر هذه المرحلة عرفت المدينة ضغطا كبيرا وعجزا ملحوظا في توفير السكنات للنازحين الذين يزداد عددهم يوم بعد يوم، حيث بلغ معدل شغل المسكن في مدينة سطيف نحو 12 فرد/مسكن.

إذا هذه المرحلة عرفت نموا حضريا سريعا ناتج أساسا عن النزوح الريفي للسكان نحو مدينة سطيف بحثا عن العمل والسكن وحياة أفضل.

2- المرحلة الثانية: 1966-1977م "تراجع النمو الحضري":

عرفت مدينة سطيف تراجعا في معدل النمو الحضري، حيث انتقل معدل النمو السكاني من 6.38% إلى 3.30%، وهو معدل ضعيف جدّا رغم المؤهلات الاقتصادية الكبرى التي تتمتع بها المدينة ورغم ما شهدته الجزائر في هذه الفترة من نمط جديد من التنظيم الاقتصادي الموجه، فاستعملت فيه وسائل التخطيط المركزي استفادت منها عشر ولايات ومنها ولاية سطيف سنة 1970[1]، وهذا ما يبيّن اختلافا وتناقضا كبيرا بين مؤشرات النمو الحضري الذي عرف تراجعا كبيرا والامتيازات الاقتصادية التي منحت لمدينة سطيف.

غير أنّ هذا التناقض والاختلاف يمكن فهمه وتفسيره من خلال التجمعات الثانوية التي ظهرت حول مدينة سطيف – والتابعة إليها إداريا - حيث عمدت الدولة في سياستها الاقتصادية المتوجهة نحو الصناعة إلى تحويل أقطاب كانت معروفة بالتوجه الفلاحي إلى أقطاب صناعية، نتج عنها توفر مناصب الشغل في المؤسسات الاقتصادية والتجارية والوحدات الصناعية ومؤسسات البناء والأشغال العمومية، صاحب هذا التوجه حركة كبيرة لسكان

1- بشير التجاني: مرجع سابق، ص، 23.

الأرياف نحو هذه التجمعات الثانوية المحيطة بالمدينة بسبب الأزمة السكنية التي ظهرت داخل المدينة بالرغم من توفير الدولة من خلال الصندوق الوطني للتوفير والاحتياط لمجموعة من السكنات الاجتماعية وظهور برنامج البناء الذاتي الذي ارتفع من خلالهما عدد المساكن إلى 17607 مسكن سنة 1977م وانخفض معدل شغل المسكن إلى 7 فرد/مسكن[1].

إذا هذه الأزمة نتج عنها ظهور عدّة تجمعات ثانوية وعرفت نموا سكانيا سريعا، فبعد ما كان تجمع فرماتو والوحيد الذي ظهر قبل 1966م يحتوي على 1090 نسمة ارتفع سنة 1977 إلى 1906 نسمة بمعدل نمو يقدر بـ 5.21%، أمّا تجمع الحاسي، شوف الكداد، عبيد علي، عين الطريق والتي ظهرت بعد 1966م فكانت تحتوي على 10230 نسمة سنة 1977م، وبهذا يكون عدد سكان التجمعات الثانوية يقدر بـ 4136 وهم سكان نازحون من المناطق الريفية نحو مدينة سطيف، وبسبب صعوبة الحصول على المسكن داخل المدينة استقروا في هذه التجمعات المحيطة بالمدينة، وهم بذلك يمثلون 7.14% من سكان بلدية سطيف[2].

3- المرحلة الثالثة: 1977-1987م "انخفاض معدّل النمو الحضري":

تميزت هذه المرحلة باستمرار انخفاض معدل النمو الحضري للمدينة حيث قدر بـ 2.88% وهو معدل ضعيف إذا ما قورن بمعدل النمو الوطني المقدر في نفس الفترة بـ 5.46%، ويرجع هذا الانخفاض الكبير في معدل النمو الحضري إلى انخفاض وتيرة النزوح الريفي نحو المدينة بسبب ظهور مراكز صغيرة بأطراف المدينة ساهمت في امتصاص تدفقات الهجرة نحوها وهي ناتجة عن التقسيم الإداري لسنة 1984م ومنها عين أرنات، الأوريسية، مزلوق، أولاد صابر، وظهور أيضا مدن صغيرة يتجه إليها السكان حتى من داخل مدينة سطيف منها مدينة العلمة، عين الكبيرة، عين أولمان، بوقاعة، وظهور تجمعات سكنية ثانوية أخرى محيطة بالمدينة تنمو وتتطور بصورة غير طبيعية ومنها تجمع عين السفيهة وتجمع قاوة اللذان بلغ عدد سكانهما 1229 نسمة، وبذلك يصبح عدد سكان التجمعات الثانوية السبعة قد ارتفع إلى

[1]- نفس المرجع.

[2]- نفس المرجع، ص، 24.

11883 نسمة، ويمثل 5.38% من إجمالي سكان البلدية بمعدلات نمو مختلفة حيث قدّر في تجمع عين الطريق مثلا بـ 22.20% وقدر بـ 7.43% بتجمع عبيد علي[1].

وكل هذه المعطيات تفيد بأنّ انخفاض معدل النمو الحضري للمدينة ليس وليد الصدفة، بل ناتج عن استقبال هذه التجمعات والمدن الصغيرة المحيطة بالمدينة للفائض السكاني بسبب

الأزمة السكنية التي عرفتها المدينة في بداية الثمانينات بعدما ظهرت سياسة جديدة للسكن أدخلته ضمن الصفقات العقارية بعد أن كان حقا للمواطن، وخير مثال عن ذلك السكن الاجتماعي الذي ظهر في بداية الثمانينات، الناتج عن القرار الوزاري الصادر سنة 1975م[2]، القاضي بإنشاء المنطقة السكنية الحضرية الجديدة والتي تحولت إلى البناء الذاتي وغلب عليها طابع الاحتكار لأحسن الأراضي من طرف الخواص.

4- المرحلة الرابعة: بعد 1987 "استمرار في انخفاض معدل النمو الحضري":

شهدت المدينة في هذه الفترة انخفاضا مستمرا في معدل النمو الحضري حيث لم يتعد 2.16% سنة 1998م وهو معدل منخفض جدّا إذا ما قورن بمعدل النمو الوطني المقدر بـ 03.57% لنفس الفترة[3].

ويعود هذا الانخفاض إلى سياسة التحصيصات التي انتهجتها البلديات المجاورة والمحيطة بالمدينة وحتى التابعة للولاية حيث وضعت حدّا لحركة السكان نحو المدينة، بالإضافة إلى توجيه السكان نحو التجمعات الثانوية المحيطة بها قصد تخفيف الضغط على المدينة، هذه التجمعات التي شهدت تواصلا في ارتفاع عدد السكان فيها حيث بلغ عدد سكانها خلال تعداد 1998م حوالي 21133 نسمة يمثلون 8.52% بالنسبة لسكان البلدية، وذلك راجع إلى المشاريع السكنية التي استفادت منها بعض هذه التجمعات خاصة تجمع عين الطريق الذي حضي بعدّة مشاريع سكنية ثمّ ترحيل بعض السكان من المدينة إلى هذا التجمع، أمّا الفترة ما

[1]- نفس المرجع.

[2]- وزارة الأشغال العمومية والبناء: قرار وزاري رقم 335 المؤرخ في 19 فيفري 1975.

[3]- نفس المرجع.

بعد 1998 فإنّه لا توجد معلومات دقيقة حول عدد السكان ونسبة النمو الحضري لمدينة إلاّ ما تمّ الحصول عليه من طرف مصالح البلدية وهي تمثل فقط الزيادة الطبيعية للسكان دون حساب الزيادة غير الطبيعية وقد قدر عدد سكان البلدية ككل بـ 259.145 سنة 2002م حوالي 303438 ساكن سنة 2004[1].

وقدر عدد سكان البلدية سنة 2008 بـ 1.489.973 نسمة وبالضبط بتاريخ 2008/4/16 أي بزيادة 1.30% وهو مؤشر على استمرار إنخفاض معدل النمو ناتج عن تشبع مركز المدينة واتجاه النمو نحوى الأطراف والضواحي التي عرفت نموا متزايدا في هذه الفترة فمثلا قدر معدل النمو في بلدية عين الرنات بـ 03.08%؛ أما مدينة سطيف فقدر عدد سكانها في هذه المرحلة بـ 252127 نسمة من 551 54 أسرة بمعدل نمو قدره 1,71%، من أصل 288461 نسمة بالبلدية، وهو مؤشر أيضا لاتجاه النمو نحوى التجمعات الثانوية والمبعثة بالمدينة[2].

وخلال سنة 2009 قدر عدد السكان بالبلدية بـ 379 299 ننسمة ينتمون إلى 956 57 أسرة بكثافة سكانية قدرها 2351,76 نسمة/كلم²، وسنة 2010 قدر عدد السكان بـ 323211 نسمة، ومن المتوقع أن يصل إلى 331569 نسمة سنة 2013 وإلى 396453 نسمة سنة 2020م"[3].

وهذا يعني أن عدد سكان مدينة سطيف سوف يستمر في التزايد نظرا لما تتوفر عليه لمدينة من مرافق وخدمات استفادت منها من المخطط الوطني لتدعيم الهضاب العليا.

وتجدر الإشارة أنّه عند الحديث عن مراحل النمو الحضري لمدينة سطيف أنّ هذا النمو لا يتم بنفس الوتيرة عبر كلّ أحياء المدينة والتجمعات التابعة لها، بل بدرجات متفاوتة من حي إلى آخر وهو ما يفسر الاختلاف والتباين الموجود بين أحياء المدينة من حيث حجم الكثافة السكانية وهو ما يمثله الجدول رقم (02) ورقم (03) وما تبيّنه الخريطة رقم (02) (في الملاحق).

[1]- مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية: ط12، مرجع سابق، ص، 11- 12، بالتعاون مع مصالح البلدية.
[2]- بلدية سطيف: المصالح التقنية (cd).
[3]- نفس المرجع.

خامسا: عوائق التوسع المجالي لمدينة سطيف:

كما سبقت الإشارة إليه في العناصر السابقة أنّ مدينة سطيف عرفت نموا سكانيا كبيرا ناتج أساسا عن الموجات المتتالية من الهجرات الريفية نحوها بسبب توفر مجموعة من العوامل المساعدة على ذلك بحسب كل مرحلة، ابتداء من سياسة المستعمر الفرنسي التي طبقها على السكان مرورا بفترة الاستقلال وما صاحبها من توفر سكنات شاغرة تركها المعمرون إلى السياسة التنموية التي انتهجتها الحكومة الجزائرية لدفع وتيرة التنمية وصولا إلى الأحداث الأليمة التي مرت بها الجزائر في العشرية الأخيرة وما صاحبها من توتر الوضعية الأمنية في المناطق الريفية المنعزلة بالخصوص.

ومعنى هذا أنّ المدينة عرفت ارتفاعا في الطلبات على السكن، الذي كان متوفرا بعد الاستقلال، غير أنّه وخلال الثمانينات من القرن الماضي عرفت المدينة أزمة سكنية حادة دفع بالسلطات المحلية التفكير في إيجاد حل لهذه الأزمة، وكان ذلك بإنشاء عدّة مشاريع سكنية أدى إلى الاستهلاك المتواصل للمجال، وصل إلى حد استنفاذ الاحتياط العقاري للمدينة، بل وأكثر من ذلك التوسع على حساب الأراضي الزراعية العالية المردود، رغم وجود قانون يحميها من زحف الإسمنت، وهو "قانون 90-25 المؤرخ في 18 نوفمبر 1990م المتضمن التوجيه العقاري"[1]، ويعود السبب في زحف العمران نحو الأراضي الزراعية إلى عدّة معوقات تقف أمام نمو المدينة إلاّ على حساب هذه الأراضي ويمكن تلخيصها في الجدول رقم (04) والخريطة رقم (03) (في الملاحق).

وانطلاقا منهما يتضح لنا أنّ مدينة سطيف قد استنفذت احتياطها العقاري المخصص للبناء والتعمير في كل النواحي بسبب وصول المباني إلى الأراضي الزراعية والمناطق الغابية المشجرة المخصصة للتسلية، ويبقى المخرج الوحيد لتوسعها هي الجهة الشمالية، حيث توجد هضبة قاوة بفضل تكييفها مع المنحدر لكي تصبح منطقة صالحة للبناء والتعمير، أو توجيه التعمير خارج حدود تراب البلدية.

[1]- الجريدة الرسمية: عدد 49-1990، فيه استدراك، ج.ر عدد 55-1990، المعدل والمكمل بالأمر رقم 95-26 المؤرخ في 26 سبتمبر 1995م.

خلاصة:

مما سبق يتجلى أنّ ظاهرة التحضر في مدينة سطيف قديمة قدم حضارات شمال إفريقيا غير أنه تبقى مرحلة الاحتلال الفرنسي ومرحلة ما بعد الاستقلال هي أهم مراحل التحضر بالمدينة فتضاعفت عدد السكان فيها ليصل 331569 نسمة سنة 2013م بعدما كان يقدر فقط بـ 42000 نسمة منهم 35490 جزائري و6510 أوربي سنة 1954م.

وكانت وراء هذه الزيادة عدة عوامل مرتبطة بكل مرحلة مرت بها هذه المدينة التي تتمتع بموقع استراتيجي هام، ابتداء من سياسة المستعمر الفرنسي التي طبقها على السكان مرورا بفترة الاستقلال وما صاحبها من توفر سكنات شاغرة تركها المعمرون إلى السياسة التنموية التي انتهجتها الحكومة الجزائرية لدفع وتيرة التنمية وصولا إلى الأحداث الأليمة التي مرت بها الجزائر في العشرية الأخيرة وما صاحبها من توتر الوضعية الأمنية في المناطق الريفية المنعزلة بالخصوص، وأخيرا الامتيازات التي استفادة منها المدينة في إطار مشروع دعم الهضاب العليا.

هذه العوامل كلها جعلت من التحضر بمدينة سطيف (على غرار باقي المدن الجزائرية) عبارة عن تحضر كمي على حساب التحضر النوعي من جهة، ومن جهة أخرى استنفذت المدينة احتياطها العقاري بل أكثر من ذلك توسعت على حساب الأراضي الزراعية العالية المردود.

1- قائمة المراجع:

أ- باللغة العربية:

[1] - بلدية سطيف: المصالح التقنية (cd).

[2] - التعدادات الوطنية: لسنة 1954 وسنة 1966.

[3] - الجريدة الرسمية: عدد 49-1990، فيه استدراك، ج. ر. عدد 55-1990، المعدل والمكمل بالأمر رقم 95-26 المؤرخ في 26 سبتمبر 1995م.

[4] - **دليل الجامعة**: مؤلف من طرف نيابة الرئاسة المكلف بالتخطيط والتوجيه والإعلام، جامعة فرحات عباس سطيف، أوت 1993.

[5] - سطيف عبر العصور الإسلامية: **مجلة الشهاب الشهرية**، العدد الثاني، محرم 1426.

[6] - المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير: **تحليل الوضعية الحالية**.

[7] - مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية: مصلحة الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، **ولاية سطيف بالأرقام 1995**، ط.11.

[8] - مديرية التعمير والبناء لولاية سطيف.

[9] - وزارة الأشغال العمومية والبناء: قرار وزاري رقم 335 المؤرخ في 19 فيفري 1975.

[10] - الوكالة العقارية لولاية سطيف: **مخططات الكتلة للتحصيصات**.

ب- باللغة الأجنبية:

[11] - (A.P.C de Sétif),**Sétif et sa Region Commune de Sétif**,Septembre 1986.

[12] - Denise (M): **Sétif de ma Jeunesse, Septembre**, 2001, (CD).

[13] - M. Cote: **Guide d'Algerie** (Paysage Et Patrimoine).

[14] - M.Cote: **L'Espace Algérien. Les prémices d'un Aménagement**.

[15] - Ministère de L'équipement et de la Ménagement Territoire**: Les Villes dans La Revitalisation des Espaces Plateaux**, P. 184.

[16] - Pelletier (J), Delfante (CH) : **Ville et Urbanisme dans le monde,** Masson, Paris, 1989.

[17] - Said Atoui: Problematique de L'urbanisation Spontane en Algerie (Cas de Setif), **Thèse de Magistere L'architecture** 2001-2002.

[18] - www.Google.Com.Http/Sétif, 19.Com. 21/01/2006, 21:23.

2- قائمة الملاحق (الخرائط):

خريطة رقم (01): مراحل التوسع المجالي لمدينة سطيف والتجمعات المحيطة بها

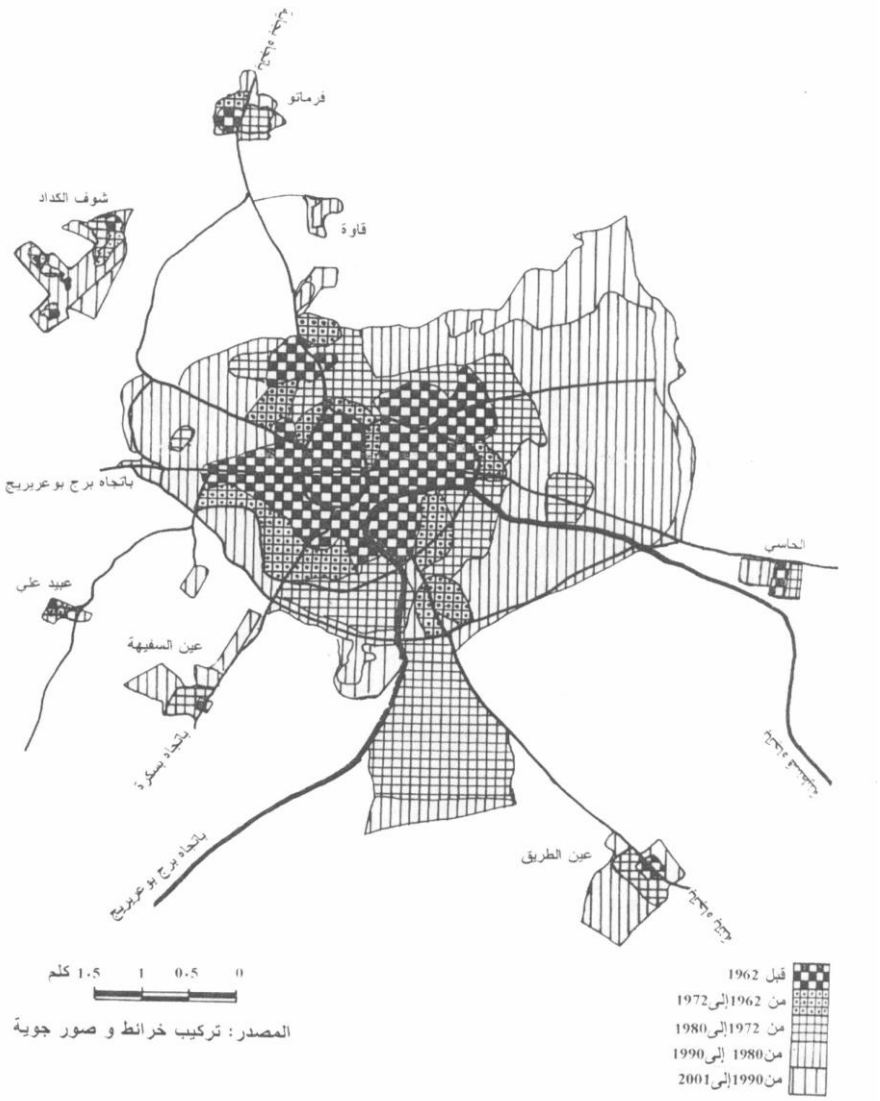

المصدر : تركيب خرائط و صور جوية

خريطة رقم (02): توزيع الكثافة السكانية عبر أحياء مدينة سطيف

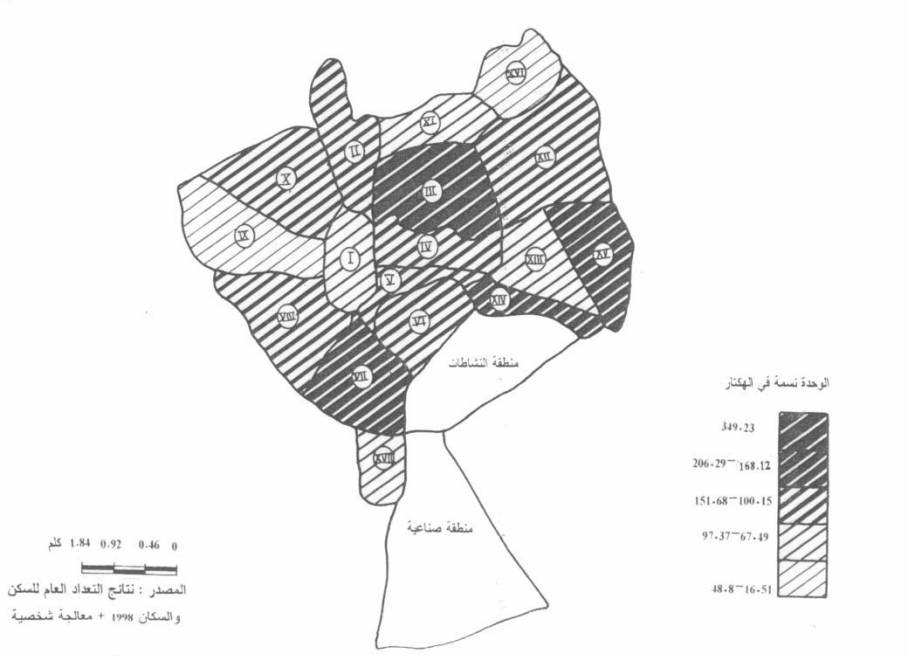

خريطة رقم (03): عوائق التوسع المجالي لبلدية سطيف